

الفصل الثاني الإطار النظري

أ. المبحث الأول: مفهوم المسند إليه

١. تعريف المسند إليه

قد كتب علي الجارم و مصطفى أمين في كتابهما *البلاغة الواضحة* أن:
"كل جملة مكونة من ركنين أساسيين هما المحكوم عليه والمحكوم به، ويسمى الأول
مسندا إليه والثاني مسندا"^١

وكتب فضل حسين عباس أن: "المسند إليه ركن في الجملة بل هو أهم
ركنها لذلك كان وجوده محتما في الجملة"^٢. المسند إليه هو المبتدأ الذي له الخبر،
أو الفاعل، أو نائبه. قد عرفنا أن الجملة تنقسم إلى قسمين هي الجملة الإسمية
وهي التي تتكون من مبتدأ وخبر والفعلية هي التي تتكون من فعل وفاعل أو نائب
الفاعل. ولكل من هاتين الجملتين ركنان أساسيان هما المسند إليه والمسند. أما
المسند هو المبتدأ الذي له فاعل أو نائب فاعل يسد مسد الخبر، أو الخبر في
الجملة الإسمية، أو الفعل في الجملة الفعلية.

نضرب المثال: السماء صافية، فالسماء: مسند إليه، وصافية: مسند. فمسافر في
القول، أمسافر أخوك؟ هو مسند، وأخوك: مسند إليه.

وكذلك في الأمثلة الأخرى: الشعر ديوان العرب. عمر بن عبد العزيز أعدل بني
أمية. ابن تيمية غزير العلم. الغزالي حجة الإسلام. هذه كلها جمل اسمية، لأنها
تكونت من مبتدأ وخبر عند النحويين لكن علماء البلاغة يسمون الجزء الأول
بالمسند إليه والجزء الثاني بالمسند. ولكن حينما نقول: جمع ابو بكر القرآن. حرر

^١ علي الجارم ومصطفى أمين، *البلاغة الواضحة* (بيروت: دار المعارف، ١٩٩٩)، ص: ٣٩

^٢ فضل حسين عباس، *البلاغة فنونها وأفعالها-علم المعاني* (الكسندريا: دار الفرقان للنشر والتوزيع، مجهول السنة)، ص: ٢٦٣

صلاح الدين فلسطين من الصليبيين. اكتشف علماء المسلمين الدورة الدموية. وضع عبد القاهر نظرية النظم في البلاغة. فإن هذه جمل فعلية، إلا أن الجزء الأول فيها هو المسند، والجزء الثاني هو المسند إليه. من الأمثلة نعرف أن تعبير البلاغيين بالمسند إليه والمسند أعم مما يقصده علماء الإعراب، فالمسند إليه قد يكون مبتدأ في الجمل الإسمية وفاعلاً أو نائب فاعل في الجمل الفعلية. أما المسند فقد يكون خبراً في الجملة الإسمية وفعلاً في الجملة الفعلية وقد يكون مبتدأ إذا كان له فاعل أو نائب فاعل يسد مسد الخبر^٣.

٢. أنواع المسند إليه

ذكر في جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع أن المسند إليه ينقسم إلى أقسام:

- الفاعل "للفعل التام أو شبهه" نحو "فؤاد-وأبوه" من قولك "حضر فؤاد العالم أبوه".
 - أسماء النواسخ، نحو "المطر" في الجمل "كان المطر غزيراً" أو "إن المطر غزير".
 - والمبتدأ الذي له خبر، نحو "العلم" من الجملة "العلم نافع".
 - والمفعول الأول لظن وأخواتها
 - والمفعول الثاني لأرى وأخواتها.
 - ونائب الفاعل كقوله تعالى: "وَوُضِعَ الْكِتَابُ" (الكهف: ٤٩)^٤
- أ) الفاعل: هو المسند إليه بعد فعل تام معلوم أو شبهه، نحو: "فاز المجتهد" و "السابق فرسه فائز" (فالمجتهد: أسند إلى الفعل التام المعلوم، وهو "فاز"

^٣ فضل حسين عباس، البلاغة فنونها وأفنانها-علم المعاني، ص: ٨٨-٩٠

^٤ أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، (بيروت: المكتبة العصرية، ١٩٩٩)، ص: ٥١

والفرس: أسند إلى شبه الفعل التام المعلوم، وهو "السابق" وكلاهما فاعل لما أسند إليه). والمراد بشبهه الفاعل المعلوم اسم الفاعل، والمصدر، واسم التفضيل، والصفة المشبهة، ومبالغة اسم الفاعل، واسم الفعل. فهي كلها ترفع الفاعل كالفعل المعلوم. ومنه الاسم المستعار، نحو: "أكرم رجلا مسكا خلقه".^٥

أما أسباب حذفه هي:

(١) للعلم به فلا حاجة إلى ذكره لأنه معروف، نحو: "وخلق الإنسان ضعيفا".

(٢) للجهل به فلا يمكننا تعيينه، نحو: "سرق البيت" إذا لم نعرف السارق.

(٣) للرغبة في إخفائه للإبهام، نحو: "ركب الحصان" إذا عرفنا الراكب غير أننا لم نرد إظهاره.

(٤) للخوف عليه، نحو: "ضرب فلان" إذا عرفنا الضارب غير أننا خفنا عليه فلم نذكره.

(٥) للخوف منه، نحو: "سرق الحصان" إذا عرفنا السارق فلم نذكره خوفا منه لأنه شرير مثلاً.

(٦) لشرفه، نحو: "عمل عمل منكر" إذا عرفنا العامل فلم نذكره حفظاً لشرفه.

(٧) لأنه لا يتعلق بذكره فائدة، نحو: "وإذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها"، فذكر الذي يحيي لا فائدة منه، وإنما الغرض وجوب رد التحية لكل من يحيي.^٦

^٥ مصطفى الغلاييني، جامع الدروس العربية (بيروت: المكتبة العصرية، ٢٠٠٠)، ص: ٢٣٣

^٦ مصطفى الغلاييني، جامع الدروس العربية، ص: ٢٤٧

ب) نائب الفاعل: هو المسند إليه بعد الفعل المجهول أو شبهه، نحو: "يكرم المجتهد، والمحمود خلقه ممدوح". فالجتهد أسند إلى الفعل المجهول، وهو "يكرم". وخلقه أسند إلى شبه الفعل المجهول وهو "المحمود" فكلاهما نائب الفاعل لما أسند إليه.^٧

ج) المبتدأ: هو المسند إليه الذي لم يسبقه عامل.^٨ جواز حذفه إن دل عليه دليل، تقول: "كيف سعيد؟" فيقال في الجواب: "مجتهد" أي: هو مجتهد، ومنه قوله تعالى: مَّنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ۖ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ ﴿٤٦﴾ (فصلت: ٤٦)، أي: فعمله لنفسه، وإساءته عليها. فيكون المبتدأ، وهو العمل والإساءة، محذوف، والجار متعلق بخبره المحذوف. ووجوب حذفه في أربعة مواضع:

- ١) إن دل عليه جواب القسم، نحو: "في ذمتي لأفعلن كذا" أي: في ذمتي عهد أو ميثاق.
- ٢) إن كان خبره مصدرا نائبا عن فعله نحو: "صبر جميل" و "سمع وطاعة"، أي: صبري صبر جميل، وأمرني سمع وطاعة.
- ٣) إن كان الخبر مخصوصا بالمدح أو الذم بعد "نعم وبئس"، مؤخرا عنهما، نحو: نعم الرجل أبو طالب، وبئس الرجل أبو لهب، فأبو، في المثالين، خبر لمبتدأ محذوف تقديره "هو".
- ٤) إن كان في الأصل نعتا قطع عن النعتية في معرض مدح أو ذم أو ترحم، نحو: "خذ بيد زهير الكريم" و "دع مجالسة فلان اللئيم" و "أحسن إلى فلان المسكين".

^٧ نفس المرجع، ص: ٢٤٦

^٨ نفس المرجع، ص: ٢٥٣

فالمبتدأ محذوف في هذه الأمثلة وجوبا. والتقدير: هو الكريم، وهو اللئيم، وهو المسكين ويجوز أن تقطعه عن الوصفية للنصب على أنه مفعول به لفعل محذوف تقديره في الأول: أمدح، وفي الثاني: أذم، وفي الثالث: أرحم.^٩

(د) اسم كان وأخواتها: كل ما تقدم من أحكام الفاعل وأقسامه، يعطى لاسم "كان" وأخواتها لأن له حكمه. وكثير ذلك بعد "إن ولو" الشرطيتين. فمثال "إن": "سر مسرعا، إن راكبا، وإن ماشيا" وقولهم: "الناس مجزيون بأعمالهم، إن خيرا فخير، وإن شرا فشر". ومثال "لو" حديث: "التمس ولو خاتما من حديد" وقولهم: "والإطعام ولو تمرا"^{١٠}

كان وأخواتها من الأفعال الناسخة التي تعمل عملها وتسمى أيضا: الأفعال الناقصة. إنها ثلاثة عشر فعلا، هي: (كان، ظل، بات، أصبح، أضحى، أمسى، صار، ليس، زال، برح، فتىء، انفك، دام).^{١١} وقد تكون "أض، ورجع، واستحال، وعاد، وحار، وارتد، وتحول، وغدا، وراح، وانقلب، وتبدل" بمعنى "صار"، فإن أتت بمعناها فلها حكمها.^{١٢}

أمثلتها:

- (١) كان، نحو: كان الطفل جاريا
- (٢) ظل، نحو: ظل الجو معتدلا
- (٣) بات، نحو: بات القائد ساهرا
- (٤) أصبح، نحو: أصبح الساهر متعبا

^٩ مصطفى الغلاييني، جامع الدروس العربية، ص: ٢٥٧-٢٥٨

^{١٠} نفس المرجع، ص: ٢٨١-٢٨٢

^{١١} عبايس حسن، نحو الوافي الجزء الأول (مصر: دار المعارف، ١٩٦٦)، ص: ٥٤٥-٥٤٦

^{١٢} مصطفى الغلاييني، جامع الدروس العربية، ص: ٢٧٢

- (٥) أضحى، نحو: أضحى الزارع منكبًا على زراعته
 (٦) أمسى، نحو: أمسى المجاهد قريرا
 (٧) صار، نحو: صارت الشجرة بابا
 (٨) ليس، نحو: ليس القطار مقبلا
 (٩) زال، نحو: ما زال العدو ناقما
 (١٠) برح، نحو: وإذا قال موسى لفتاه لا أبرح...
 (١١) فتىء، نحو: فتىء الصانع عن شيء
 (١٢) انفك، نحو: فككت حلقات السلسلة فانفكت
 (١٣) دام، نحو: يفيد الأكل ما دام المرء جائعا^{١٣}

(هـ) اسم إن وأخواتها، مثل: إن العامل أمين، فيصير المبتدأ اسم "إن" منصوبا ويسمى: اسمها. وتزول عنه الصدارة، ويصير خبره خبر "إن" مرفوعا، ويسمى: خبرها. إنها سبعة أحرف لا خلاف فيها وهي: (إن، أن، لكن، كأن، ليت، لعل، لا). أمثلتها:

- (١) أن: عرفت أن العمل وسيلة الرزق.
 (٢) لكن: الصمت حسن لكن الكلام أحسن منه أحيانا.
 (٣) كأن: كأن وجه القط وجه أسد.
 (٤) ليت الاستعمار زائل.
 (٥) لعل: لعل الغائب قادم، إن النظافة وقاية من المرض.
 (٦) لا: لا خائن وطنه مطمئن^{١٤}.

^{١٣} عبايس حسن، نحو الوافي الجزء الأول، ص: ٥٤٨-٥٦٥

^{١٤} عبايس حسن، نحو الوافي الجزء الأول، ص: ٦٣٠

و) المفعول الأول لظن وأخواتها: تقول، ظننت العامل أمينا، فيصير المبتدأ والخبر

مفعولين منصوبين للفعل: "ظننت" ويسمى كلاهما: "مفعولا به".^{١٥}

ظن وأخواتها تنقسم إلى قسمين وهما أفعال قلبية وأفعال تحويل:

(١) أفعال قلبية تنقسم أيضا إلى قسمين وهي أفعال يقين وأفعال رجحان:

• أفعال يقين أشهرها سبعة:

- ✓ علم، نحو: علمت البر سبيل المحبة، وعلمت المحبة سبيل القوة
- ✓ رأى، نحو: رأيت الأمل داعي العمل، ورأيت البأس رائد الإخفاق
- ✓ وجد، نحو: وجدت العلم أعظم أسباب القوة
- ✓ درى، نحو: دريت المجد قريبا من الدائب في طلبه
- ✓ ألقى، نحو: ألقيت الشدائد صاقلة للنفوس
- ✓ جعل، نحو: جعلت الإله واحدا، لا شك فيه
- ✓ تعلم بمعنى: أعلم، نحو: تعلم وطنك شركة بين أبنائه

• أفعال رجحان أشهرها ثمانية:

- ✓ ظن، نحو: ظن الطيار النهر قناة
- ✓ خال، نحو: خال المسافر الطائرة أنفع له
- ✓ حسب، نحو: أحسب السهر الطويل إرهاقا
- ✓ زعم، نحو: زعمت الملاينة مرغوبة في مواطن
- ✓ عدّ، نحو: عددت الصديق أخا
- ✓ حجا، نحو: حجا السائح المئذنة برج مراقبة
- ✓ جعل، نحو: جعل الصيد السمكة الكبيرة حوتا

^{١٥} نفس المرجع، ٥٤٣

✓ هب، نحو: هب ما لك سلاحا في يدك، فلا تعتمد عليه

وحده^{١٦}

(٢) أفعال تحوّل أشهرها سبعة:

- صير، نحو: صير الصانع الذهب سبيكة، وصير السبيكة سوارا
- جعل، نحو: جعل الغازل القطن خيوطا
- اتخذ، نحو: اتخذ المهندس الحديد والحشب باخرة
- اتخذ، نحو: اتخذت الحرارة الثلج ماء، واتخذت الماء بخارا
- ترك، نحو: ترك الموج الصخور حصي، وتركت الشمس الحصي رمالا
- رد، نحو: رد الأمل الوجوه الشاحبة مشرقة، ورد النفوس اليائسة مستبشرة
- وهب، نحو: وهبت الآلات الحديثة السنابل حبا، ووهبت الحب دقيقا، ووهبت الدقيق عجينا^{١٧}

ثم إن المسند والمسند إليه يتنوعان إلى أربعة أقسام:

- أ. إما أن يكونا كلمتين حقيقة
- ب. إما أن يكونا كلمتين حكما، نحو "لا إله إلا الله ينحو قائلها من النار"
- ج. إما أن يكون المسند إليه كلمة حكما، والمسند كلمة حقيقة، نحو: "تسمع بالمعيدي خير من أن تراه"
- د. وإما بالعكس، نحو "الأمير قرب قدومه"^{١٨}

^{١٦} عبايس حسن، نحو الوافي الجزء الثاني (مصر: دار المعارف، ١٩٦٦)، ص: ٧-٥

^{١٧} عبايس حسن، نحو الوافي الجزء الثاني، ص: ٨-٩

^{١٨} أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، ص: ٥١

٣. أحوال المسند إليه

أحوال المسند إليه هي: الذكر، والحذف، والتعريف، والتنكير، والتقديم، والتأخير، وغيرها. وسنبحث هذه الأحوال فيما يلي:

أ. ذكر المسند إليه: ذكر المسند إليه لازم لتأدية المعنى المراد به حيث لاقرينة تدل عليه عنه حذفه. وهناك أغراض بلاغية كثيرة منها:

(١) زيادة التقرير والإيضاح للسامع، كقوله تعالى: **أُولَئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ** ^ط **وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ** (البقرة: ٥)

(٢) قلة الثقة بالقرينة لضعفها أو ضعف فهم السامع، نحو: سعد نعم الزعيم، تقول ذلك إذا سبق ذكر سعد، وطال عهد السامع به، أو ذكر معه كلام في شأن غيره

(٣) الردة على المخاطب نحو: الله واحد، ردا على من قال الله ثالث ثلاثة

(٤) التلذذ نحو: الله ربي الله حسبي

(٥) التعريض بعبادة السامع نحو: سعيد قال كذا، في جواب ماذا قال سعيد

(٦) التسجيل على السامع، حتى لايتأتى له الإنكار، كما إذا قال الحاكم لشاهد: هل أقر زيد بأن عليه كذا؟ فيقول الشاهد: نعم، زيد هذا أقر بأن عليه كذا.

(٧) التعجب إذا كان الحكم غريبا نحو: علي يقوم الأسد، في جواب من قال: هل علي يقاوم الأسد؟

(٨) التعظيم نحو: حضر سيف الدولة. في جواب من قال: هل حضر الأمير؟

(٩) الإهانة نحو: السارق قادم. في جواب من قال: هل حضر السارق؟^{١٩}

^{١٩} أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، ص: ١٠١-١٠٢.

ب. تقديم المسند إليه: يقدم المسند إليه لاعتبارات وأغراض منها:

(١) التشويق: أن يكون في المسند إليه غرابة من شأنها أن تشوق المخاطب إلى معرفة المسند، لأن المسند والمسند إليه متلازمان. كقول الله تعالى: إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَنَكُمْ^{٢٠} إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾ (الحجرات: ١٣) فالمخاطبون يستعجلون معرفة الخبر ولا سيما أنهم كانوا يحسبون أن الكرم هو البذل، ولكنه هنا شيء آخر إنه التقوى.^{٢٠}

(٢) إفادة التخصيص: إذا توفر في المسند إليه شرطان. أولاً أن يكون الخبر (المسند) فعلاً والثاني أن يكون المسند إليه بعد النفي.^{٢١}

(٣) إفادة التعميم: إذا اجتمع في الجملة أداة تدل على العموم وأداة تدل على النفي وتقدمت أداة العموم على أداة النفي، فأدوات العموم: كل، وجميع، عامة، كافة، وما يشبهها مثل "من"، وأدوات النفي: لا، لم، وما أشبههما. نحو: كل الناجحين لم يأخذوا جوائزهم، كل المسلمين لم يقوموا بواجبهم، من يظلم الناس لا يفلح.

(٤) إذا كان كلمة (مثل) أو (غير): هذان الكلمتان خرجتا عن المعنى الظاهر الذي وضعت له كل منهما. نحو: مثلي يسهر الليل وغيري يستحق الويل. فالمعنى الظاهر أنني لست أنا الذي يسهر الليل وإنما يسهره واحد مثلي وأنا لست أستحق الويل ولكن يستحقه واحد غيري.^{٢٢}

ج. تعريف المسند إليه

^{٢٠} فضل حسين عباس، البلاغة فنونها وأفانها-علم المعاني، ص: ٢١٢-٢١٣

^{٢١} فضل حسين عباس، البلاغة فنونها وأفانها-علم المعاني، ص: ٢١٣

^{٢٢} نفس المرجع، ص: ٢٢٦

- (١) التعريف بالضمير إما للمتكلم أو للمخاطب أو للغائب نحو: إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَأَعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ﴿٤﴾ (طه: ١٤)
- (٢) التعريف بالعلمية، نحو قوله تعالى: وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ (البقرة: ١٢٧)
- (٣) التعريف باسم الإشارة، نحو قوله تعالى: إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿١﴾ (الإسراء: ٩)
- (٤) التعريف باسم الموصول: وَرَأَوْتُهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِ وَعَلَقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ ۖ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٣﴾ (يوسف: ٢٣)
- (٥) التعريف ب (ال)، نحو: وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَلِيَّتَنِي أَخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَتَوَلَّى لِيَّتِي لَمْ أَخَذْ فَلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي ۗ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَدُولًا ﴿٢٩﴾ وَقَالَ الرَّسُولُ يَرَبِّ إِنَّ قَوْمِي أَخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا ﴿٣٠﴾ (الفرقان: ٢٧-٣٠)
- (٦) التعريف بالإضافة، نحو: إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَنٌ إِلَّا مَنْ أَتْبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴿٤٢﴾ (الحجر: ٤٢) ^{٢٣}

د) حذف المسند إليه: فحذف المسند إليه فلاحتراز عن العبث بناء على الظاهر، أو تخيل العدول إلى أقوى الدليلين من العقل واللفظ. قال لي: كيف أنت؟ قلت: عليل. أو اختبار تنبه السامع عند القرينة، أو مقدار تنبه، أو إيهام صونه عن لسانك، أو عكسه، أو يأتي الإنكار لدى الحاجة، أو تعينه، أو ادعاء التعين، أو نحو ذلك.^{٢٤}

ب. المبحث الثاني: مفهوم حذف المسند إليه

١. مفهوم الحذف

حذف: حذف الشيء يحذفه حذفاً قطعاً من طرفه.^{٢٥}
 يبين عبد القاهر بلاغة الحذف عموماً فيقول: "هو باب دقيق المسلك، لطيف المأخذ، عجيب الأمر، شبيه بالسحر. فإنك ترى به. ترك الذكر أفصح من الذكر، والصمت عن الإفادة أزيد من الإفادة، وتجدك أنطق ما تكون إذا لم ينطق. وأتم ما تكون بيانا إذا لم تبين ورب حذف هو قلادة الجيد وقاعدة التجويد"

فالمحذوف تدل عليه قرائنه. فإذا ذكر كان ثقيلاً موضعاً. لأن تعريف لما عرف، وبيان لما بين، وإذا حذف رفعت المثبوتة عن السامع بذكره. ورفعت الكلمة التي تكون عليه عندما يسمع حديثاً معاداً. أو كلمة لم يوجد فيها فائدة جديدة. فالكلمة الخالية من الفائدة كالثقل تؤذى العين بوجوده. فإذا لم تبصره في موضع كان يتوقع وجوده فيه وجدت لذلك من الإنس والمحبة ما يغمر القلب سروراً. كما في الحذف ما يشغل الفكر، ويعمل في تحديد المحذوف ومكانه. فالمعاني بعد أن كانت تأتي من الألفاظ. اشترك العقل في الدلالة عليها والإشارة إليها.^{٢٦}

^{٢٤} نفس المرجع، ص: ٢٥٨

^{٢٥} ابن منظور، لسان العرب (قاهرة: دار المعارف، ١١١٩)، ص: ٨١٠

ذكر أحمد الهاشمي في جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع أن الحذف خلاف الأصل وهو قسمان:

(أ) قسم يظهر فيه المحذوف عند الإعراب، كقولهم: أهلا وسهلا، فإن نصبهما يدل على ناصب محذوف يقدر: بنحو: جئت أهلا ونزلت مكانا سهلا، وليس هذا القسم من البلاغة في شيء.

(ب) قسم لا يظهر فيه المحذوف بالإعراب، وإنما تعلم مكانه إذا أنت تصفحت المعنى وجدته لا يتم إلا بمراعاته، نحو: يعطي ويمنع، أي يعطي ما يشاء ويمنع ما يشاء، ولكن لاسيبل إلى إظهار ذلك المحذوف، ولو أنت أظهرته زالت البهجة وضاع ذلك الرّونق.^{٢٧}

٢. أغراض حذف المسند إليه

قد ذكر أن المسند إليه ركن في الجملة بل هو أهم ركنها لذلك كان وجوده محتما في الجملة. وإنما يحذف إذا دلت قرينة على حذفه ولولا القرينة لكان الحذف نقصا وعيبا، ولا بد مع القرينة من محسنات ترجع الحذف على الذكر، وأهم هذه المحسنات الدواعي:

(أ) أن يكون المقام مقام مدح أو ترحم أو ذم:

فمثال الترحم ما نسب لعمر بن أبي ربيعة:

اعْتَادَ قَلْبُكَ مِنْ لَيْلِي عَوَائِدُهُ وَهَاجَ أَهْوَاءُكَ الْمَكْنُونَةَ الطَّلُّ

رَبْعَ قَوَائِدِ الْمَعْصِرَاتِ بِهِ وَكُلُّ حَيْرَانَ سَارٍ مَأْوُهُ خَضِلٌ

ومثال المدح قول إبراهيم بن عباس الصولي:

^{٢٦} أحمد بحميد، درس البلاغة العربية المدخل في علم البلاغة وعلم المعاني (جاكرتا: راجا كرافندوا فرسدا، ١٩٩٦)، ص: ١١٧

^{٢٧} أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، ص: ١٠٣

سَأَشْكُرُ عَمْرًا إِنْ تَرَاخَتْ مَنِيَّتِي أَيَادِي لَمْ تَمُنْ وَإِنْ هِيَ جَلَّتْ
فَتَى غَيْرُ مَحْجُوبِ الْغِنَى عَنْ صَدِيقِهِ وَلَا مُظْهَرُ الشُّكْوَى إِذَا التَّعَلُّ
زَلَّتْ

ومثال الدم قول الأقيشر الأسدي:

سريع إلى ابن العمّ يَلْطِمُ وَجْهَهُ وَلَيْسَ إِلَى دَاعِيِ النَّدى بِسريعِ
حريصٌ على الدنيا مُضِيْعٌ لِدينِهِ وليس لما في بيته بِمضِيْعِ
فالمسند إليه في هذه الأمثلة جميعها حذف، ففي المثال الأول: هو ربيع. وفي
المثال الثاني: هو فتى. وفي المثال الثالث: هو سريع. هو حريص.
وهكذا يمكننا أن نحذف المسند إليه لهذه المقتضيات، فإذا كنا نتحدث عن
الزمن المشرق لهذه الأمة، نقول بعد ما نتحدث: أيام غراء، وليال مشرقة.
فنحذف المسند إليه، وهو (تلك) مثلا، وهكذا في حالة المدح وحالة الدم،
فإذا تحدثت عن فلان، نقول بعد حديثنا عنه: كريم، مخلص لأصدقائه.
ومن هذا القبيل قوله تعالى:

- الرَّ كِتَبٌ أَحْكَمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ (هود: ١)
- الرَّ كِتَبٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ
بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴿١٠٠﴾ (إبراهيم: ١)

فما وصف به الكتاب في الآيتين الكريمتين من اوصاف الخبر يغني عن ذكر
المسند إليه.

(ب) عدم الفائدة من ذكر المسند إليه:

من محسنات الحذف ومرجحاته، عدم الفائدة من ذكر المسند إليه حتى كأن
ذكره يصير عبثا، ويكثر هذا في الأحوال التالية:
(١) إذا وقع المسند إليه في جواب الاستفهام

• كَلَّا لَيُنْبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ ﴿٦١﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ ﴿٦٢﴾ نَارُ اللَّهِ الْمَوْقَدَةُ

﴿٦١﴾ (الهمزة: ٦-)، أي: الحطمة نار الله.

• وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ ﴿٢٧﴾ فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ﴿٢٨﴾

(الواقعة: ٢٧-٢٨)، أي: هم في سدر مخضود.

(٢) إذا وقع بعد الفاء المقترنة بجواب الشرط

• مَنْ عَمِلْ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ۚ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ

﴿٤٦﴾ (فصلت: ٤٦)، أي: فعمله لنفسه، وإساءته عليها.

• فَإِنْ لَمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ ۗ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٦٥﴾

(البقرة: ٢٦٥)، أي: فهو طلّ.

• لَا يَسْمُ الْإِنْسَانُ مِنْ دُعَاءِ الْخَيْرِ وَإِنْ مَسَّهُ الشَّرُّ فَيُؤْسُ

فَيُؤْسُ ﴿٤٩﴾ (فصلت: ٤٩)، أي: فهو يؤوس.

(٣) إذا وقع بعد القول وما اشتق منه

• وَقَالُوا أَأَسْطِيرُ الْأُولِينَ ۚ أَكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمَلَّى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا

﴿٥﴾ (الفرقان: ٥)، أي: قالوا: القرآن أساطير الأولين.

• فَأَقْبَلَتْ امْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ﴿٢٩﴾

(الذاريات: ٢٩)، أي: أنا عجوز عقيم.

• قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٤﴾ قَالَ رَبُّ السَّمَوَاتِ

وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۗ إِنَّكُمْ مُوقِنِينَ ﴿٢٥﴾ (الشعراء: ٢٣-

٢٤)، أي: هو رب السموات.

(ج) المبادرة:

من محسنات الحذف ومرجحاته، المبادرة حتى لا تضيع الفرصة، فإذا رأى أحد الذين يتربون الصيد غزالاً أو أرنباً فإنه لا يقول: هذا غزال وانظروا هذا الأرنب. وإنما يقول: غزال. أرنب. وكذلك الذين يتربون رؤية الهلال للصوم، أو الفطر، يقول الذين يراه: الهلال. أي: هذا الهلال.

(د) اتباع الاستعمال:

معناه أن المثل عند العرب لا ينبغي تغييره بل ينطق به كما ورد عنهم. نحو: رمية من غير رام. يضرب لمن يصل إلى الغرض بدون قصد منه، إذ ليس من عاداته ذلك. فالمسند إليه محذوف، أي: هذه رمية. قضية ولا أبا حسن لها. يقال في الأمر الصعب الذي لا يجد من يحله. ردت ولا أبا بكر لها.^{٢٨}

ومن المثل الآخر: نعم الزعيم سعد، أي هو سعد.^{٢٩}

(هـ) سهولة الإنكار إذا دعت الحاجة:

من محسنات الحذف ومرجحاته، سهولة الإنكار إذا دعت الحاجة، كما إذا تحدث قوم عن شخص ما يقول أحدهم: بخيل. دون أن يذكر اسمه، كأنه لا يريد أن يقع في مأزق هو في غني عنه.

وقد تكون هناك أغراض أخرى كتعجيل المسرة، أو الإخفاء عن بعض السامعين، أو العناية بالمسند.

^{٢٨} فضل حسين عباس، البلاغة فنونها وأفنانها - علم المعاني، ص: ٢٦٣-٢٦٦

^{٢٩} أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، ص: ١٠٤

لاحظ إلى قوله تعالى: فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ ۚ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ ۚ بَلَّغْ ۚ فَهَلْ يُهْلِكُ إِلَّا الْقَوْمَ الْفَاسِقُونَ ﴿١٥﴾ (الأحقاف: ٣٥)، أي: هذا بلاغ. فما أجمل هذا الحذف.

والحق أن هناك محسنات لا يمكن حصرها، ترجع إلى نفس المتكلم، أو حال السامع، هذا كله إذا كان المسند إليه مبتدأ.

أن الأمثال السابقة أغراض حذف المسند إليه التي يكون مبتدأ وأما إذا كان المسند إليه فاعلا فهناك محسنات كثيرة لحذفه إلا أن منها ما يتصل باللفظ ومنها ما يتصل بالمعنى.

(أ) أما يتصل باللفظ فهو المحافظة على السجع، كقولهم: من طابت سيرته حمدت سيرته. فلو قيل: حمد الناس سيرته. لتغيير السجع. وكذلك قولك: من طهر قلبه فرح كربه.^{٣٠}

(١) المحافظة على القافية نحو:

وما المال والأهلون إلا ودائع ولا بد يوما أن ترد الودائع

(٢) المحافظة على الوزن نحو:

على أنني راض بأن أحمل الهوى وأخلص منه لا علي ولا ليا

أي: لا علي شيء ولا لي شيء.^{٣١}

(ب) أما ما يتصل بالمعنى:

^{٣٠} فضل حسين عباس، البلاغة فنونها وأفنانها - علم المعاني، ص: ٢٦٦-٢٦٧

^{٣١} أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، ص: ١٠٤

(١) الإيجاز والاختصار، قوله: وَإِنَّ عَاقِبَتَكُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ^ط وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ ﴿١٦٦﴾ (النحل: ١٢٦)، فقد حذف الفاعل ولم يقل: بما عاقبكم الناس به.

(٢) أن يكون معلوماً للسامع، قوله: خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ^ع سَأُورِيكُمْ آيَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ﴿٣٧﴾ (الأنبياء: ٣٧)، فإن الخالق لا يماري فيه عاقل.
 (٣) وقد يحذف للخوف منه، كقول المستضعفين: بيعت البلاد، وكممت الأفواه، ومرغت الجباه.

(٤) وقد يحذف للخوف عليه، كقولنا: روع العدو، ونيل منه، ودك أحد حصونه، واقتحمت إحدى قلاعها. بالبناء للمجهول.

(٥) وقد يحذف لأنه لا يتحقق غرض من الأغراض بذكره، كقوله: إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ (الأنفال: ٢)، فليس هناك غرض يتحقق من ذكر الفاعل.

(٦) ومما يكاد يطرد في حذف المسند إليه توجيه المخاطب لنفس الحدث ونجد هذا في مشاهد يوم القيامة، قوله:

• فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْحَةٌ وَاحِدَةٌ ﴿١٣٣﴾ وَحَمَلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ

فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً ﴿١٣٤﴾ (الحاقة: ١٣٣-١٣٤)

• يَوْمَ تَبَدَّلَ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ^ط وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ

الْقَهَّارِ ﴿٤٨﴾ (إبراهيم: ٤٨)

• وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا (الزمر: ٧١)

• وَجَاءَ يَوْمَئِذٍ بُعْثًا بَعْثًا (الفجر: ٢٣)

• وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَىٰ الْجَنَّةِ زُمَرًا (الزمر: ٧٣)

نرى أن المسند إليه قد حذف في جميع هذه الآيات ذلك لأن الذي يريد
القرآن أن يوجه الناس إلى هذه الأحداث الجسام العظام دون أن يشغلوا
بمن فعل هذه الأفعال. كل هذا نجد لا يذكر في الآيات الكريمة إذ ليس
هناك كبير هدف يتحقق من ذكره.^{٣٢}

قد كملت الأغراض المذكور مما يلي:

(أ) ظهوره بدلالة القرائن عليه نحو: فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صَرَاقٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا
وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ﴿٢٩﴾ (الذاريات: ٢٩). أي أنا عجوز

(ب) إخفاء الأمر عن غير المخاطب: أقبل، تريد عليا مثلا

(ج) اختبار تنبه السامع، أو مقدار تنبهه، نحو: نوره مستفاد من نور الشمس،

أو هو واسطة عقد الكواكب، أي القمر في كل من المثالين

(د) ضيق المقام عن إطالة الكلام بسبب تضجر وتوجع، كقوله:

قال لي كيف أنت قلت عليل سهر دائم وحزن طويل

بسبب ما يعرض للمتكلم من ضجر أو حزن كقوله تعالى في حكاية عن

سارة زوج سيدنا إبراهيم: فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صَرَاقٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا

وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ﴿٢٩﴾ (الذاريات: ٢٩) أي أنا عجوز. فحذف المسند

إليه لأنها لما سمعت بشارة الملائكة لها بغلام عجبت (من أمرهم) واستبعدت

أن تلد بعد بلوغها حد الكبر والعقم.^{٣٣}

(هـ) كون المسند إليه معينا معلوما حقيقة نحو: عَلِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ ۗ وَهُوَ

الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴿٧٣﴾ (الأنعام: ٧٣) أي الله، أو ادعاء، نحو: وهاب

^{٣٢} فضل حسين عباس، البلاغة فنونها وأفنانها - علم المعاني، ص: ٢٦٨

^{٣٣} أحمد بحميد، درس البلاغة العربية المدخل في علم البلاغة وعلم المعاني، ص: ١١٧

الألوف، أي فلان.^{٣٤} كَلَّآ إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ ﴿١٦﴾ وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ ﴿١٧﴾
 وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ ﴿١٨﴾ (القيامة: ٢٦-٢٨) فالحديث في ذكر الموت، ولا
 يبلغ التراقي عند الموت إلا النفس أما ادعاء تعيينه كقولنا: أمير الشعراء، نريد
 شوقي.^{٣٥}

(و) تكثير الفائدة، نحو: فَصَبْرٌ جَمِيلٌ^{٣٦} (يوسف: ١٨) أي فأمرني صبر جميل.
 (ز) تعيينه بالعهدية، نحو: وَقِيلَ يَتَّزِضُ آبِلَعَى مَاءِكِ وَيَسْمَأُ أَقْلَعَى وَغِيضَ
 الْمَاءِ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَأَسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ^{٣٧} وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ
 ﴿٤٤﴾ (هود: ٤٤). أي السفينة ونحو حتى توارت بالحجاب، أي الشمس.
 قيل الجودي هو الجبل الذي وقفت عليه سفينة نوح وهي معهودة في الكلام
 السابق في قوله واصنع الفلك بأعيننا.^{٣٦}

ذكر في الكتاب الآخر وهو كتاب الطراز للإمام يحيى بن حمزة بن علي بن
 إبراهيم عن أغراض حذفه قليلا وهي:

١. إما للدلالة على الجواز كقوله تعالى: مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴿٤﴾ بالرفع على
 تأويل هو مالك يوم الدين
٢. إما للاحتراز عن العبث بناء على الظاهر حيث يكون معلوما، فتحذفه
 اتكالا على العلم به كقوله تعالى: وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ^{٣٨} قَالَ بَلْ
 سَأَلْتُمْ لَكُمْ أَنْفُسَكُمْ أَمْرًا^{٣٩} فَصَبْرٌ جَمِيلٌ^{٤٠} وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾
 (يوسف: ١٨) أي: فأمرني صبر جميل، فإنما حذف لما ذكرناه من وضوح
 الأمر فيه، فلا جرم مان مسلطا على حذفه.

^{٣٤} أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، ص: ١٠٣-١٠٤

^{٣٥} المكتبة الوطنية، درس البلاغة العربية (جاكرتا: راجا كرافندوا فرسدا، ١٩٩٦)، ص: ١١٧

^{٣٦} أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، ص: ١٠٣-١٠٤

ومن حذف المسند إليه أيضا قوله تعالى: ثُمَّ بَدَأَ لَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوُا آيَاتِ لَيْسَجُنَّهٗ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٣٥﴾ (يوسف: ٣٥) لأن التقدير فيه ثم بدا لهم أمر، ومنه قوله تعالى: ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾ (البقرة: ٢)، أي هو هدى في أحد وجوهه.^{٣٧}

ج. المبحث الثالث: لمحة عن سورة النساء

سورة النساء مدنية وهي ستة عشر ألف حرف وثلاثون حرفا. وثلاثة آلاف وسبعمائة وخمس وأربعون كلمة. ومائة وستون آية. قاله الثعلبي وقال البيضاوي: مائة وخمس وسبعون آية.^{٣٨}

مقصودها الاجتماع على التوحيد الذي هدت إليه آل عمران، والكتاب الذي حدث عليه البقرة لأجل الدين الذي جمعته الفاتحة تحذيرا مما أرادته شأس بن قيس وأنظاره من الفرقة، وهذه السورة من أواخر ما نزل، روي البخاري في فضائل القرآن عن يوسف بن ماهك أن عراقيا سأل أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أن تربه مصحفها، فقالت: لم؟ قال: لعلي أولف القرآن عليه، فإنه يقرأ غير مؤلف، قالت: وما يضرك أية قرأت قبل، إنما نزل أول ما نزل منه سورة من المفصل، فيها ذكر الجنة والنار حتى إذا تاب الناس إلى الإسلام نزل الحلال والحرام، ولو نزل أول شيء لا تشربوا الخمر، لقالوا: لاندع الخمر أبدا، ولو نزل لا تنزوا لقالوا: لاندع الزنى أبدا، لقد نزل بمكة على محمد وإبي لجارية ألعب: بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمْرٌ ﴿٤٦﴾ (القمر: ٤٦) وما نزلت سورة البقرة والنساء إلا وأنا عنده، قال:

^{٣٧} يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم، كتاب الطراز (بيروت: دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٩٩٥)، ص: ٥٢٠-٥٢١

أبي العباس أحمد بن محمد بن المهدي، البحر المديد في تفسير القرآن المجيد الجزء الثاني (بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٨)، ص: ٣٣٨

فأخرجت له المصحف فأملت عليه آي السور. انتهى. وقد عنت بهذا رضي الله عنها أن القرآن حاز أعلى البلاغة في إنزاله مطابقاً لما تقتضيه الأحوال بحسب الأزمان، ثم رتب على أعلى وجوه البلاغة بحسب ما تقتضيه المفاهيم من المقال.^{٣٩}

١. التسمية

سميت سورة النساء لكثرة ما ورد فيها من الأحكام التي تتعلق بهن، بدرجة لم توجد في غيرها من السور، ولذلك أطلق عليها "سورة النساء الكبرى" في مقابلة "سورة النساء الصغرى" التي عرفت في القرآن بسورة الطلاق *يَتَأَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ ۖ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا تَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَحِشَةٍ مُبَيَّنَةٍ ۗ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ ۚ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ ۚ لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا ۝* (الطلاق: ١)

سورة النساء إحدى السور المدنية الطويلة، وهي سورة مليئة بالأحكام الشرعية، التي تنظم الشؤون الداخلية والخارجية للمسلمين، وهي تعنى بجانب التشريع كما هو الحال في السور المدنية، وقد تحدثت السورة الكريمة عن أمور هامة تتعلق بالمرأة والبيت والأسرة والدولة والمجتمع ولكن معظم الأحكام التي وردت فيها كانت تبحث حول موضوع النساء ولهذا سميت "سورة النساء"^{٤٠} ذكر في تفسير القاسمي المسمى محاسن التأويل: "إنما سميت سورة النساء، لأن ما نزل منها في أحكامهن أكثر مما نزل في غيرها"^{٤١}

برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٦) ص:

٢٠٤^{٣٩}

^{٤٠} محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير (بيروت: المكتبة العصرية الجزء الأول، ٢٠١١)، ص: ٢١٦

^{٤١} محمد جمال الدين القاسمي، تفسير القاسمي المسمى محاسن التأويل المجلد الثالث (بيروت: دار الفكر، ٢٠٠٥)، ص: ٨٤٧

٢. مضمون السورة

- أ) تحدثت السورة الكريمة عن حقوق النساء والأيتام وبخاصة اليتيمات في حجور الأولياء والأوصياء، فقررت حقوقهن في الميراث والكسب والزواج واستنقذتهن من عسف الجاهلية، وتقاليدها الظالمة المهينة.
- ب) وتعرضت لموضوع المرأة فصانت كرامتها وحفظت كيانها ودعت إلى إنصافها بإعطائها حقوقها التي فرضها الله تعالى لها كالمهر والميراث وإحسان العشرة.
- ج) كما تعرضت بالتفصيل إلى "أحكام الموارث" على الوجه الدقيق العادل الذي يكفل العدالة ويحقق المساواة وتحدثت عن المحرمات من النساء (بالنسب والرضاع والمصاهرة).
- د) وتناولت السورة الكريمة تنظيم العلاقات الزوجية وبينت أنها ليست علاقة جسد وإنما علاقة إنسانية، وأن المهر ليس أجرا ولا ثمنا، وإنما هو عطاء يوثق المحبة، ويدسم العشرة، ويربط القلوب.
- هـ) ثم تناولت حق الزوج على زوجته وحق الزوجة على زوجها، وأرشدت إلى الخطوات التي ينبغي إن يسلكها الرجل لإصلاح (الحياة الزوجية)، عندما يبدأ الشقاق والخلاف بين الزوجين، وبينت معنى "قوامة الرجل" وأنها ليست قوامة استعباد وتسخير، وإنما هي قوامة نصح وتأديب كالتي تكون بين الراعي ورعيته.
- و) ثم انقلت من دائرة الأسرة إلى "دائرة المجتمع" فأمرت بالإحسان في كل شيء، وبينت أن أساس الإحسان التكافل والتراحم، والتناصح والتسامح، والأمانة والعدل، حتى يكون المجتمع راسخ البنيان قوي الأركان.
- ز) ومن الإصلاح الداخلي انتقلت الآيات إلى الاستعداد للأمن الخارجي الذي يحفظ على الأمة استقرارها وهدوءها، فأمرت بأخذ العدة لمكافحة الأعداء.

(ح) ثم وضعت بعد قواعد المعاملات الدولية بين المسلمين والدول الأخرى المحايدة أو المعادية.

(ط) واستتبع الأمر بالجهاد حملة ضخمة على المنافقين، فهم نا بته السوء وجرثومة الشر التي ينبغي الحذر منها، وقد تحدثت السورة الكريمة عن مكائدهم وخطرهم.

(ي) كما نبهت إلى خطر أهل الكتاب وبخاصة اليهود وموقفهم من رسل الله الكرام.

(ك) ثم ختمت السورة الكريمة ببيان ضلالات النصارى في أمر المسيح (عيسى ابن مريم) حيث غالوا فيه حتى عبده ثم صلبوه مع اعتقادهم بألوهيته، واخترعوا فكرة (التثليث) فأصبحوا كالمشركين الوثنيين، وقد دعتهم الآيات إلى الرجوع عن تلك الضلالات، إلى العقيدة السمحة الصافية (عقيدة التوحيد) وصدق الله حيث يقول: "ولا تقولوا ثلاثة انتهوا خيرا لكم إنما الله واحد" ^{٤٢}

ذكر في البحر المديد عن مضمون السورة قصيرا وهو الأمر بحفظ وهي ستة أمور: حفظ الأموال وحفظ الأنساب وحفظ الأبدان وحفظ الأديان حفظ اللسان وحفظ الإيمان. بعد أن قدم الأمر بالتقوى التي هي ملاك ذلك كله. ^{٤٣}

٣. ارتباط سورة النساء لسورة آل عمران

كتب في روح المعاني أن وجه مناسبتها لآل عمران أمور منها:
أ) سورة آل عمران ختمت بالأمر بالتقوى وافتتحت هذه السورة به. وذلك من أكد وجوه المناسبات في ترتيب السور.

^{٤٢} محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، ص: ٢١٦

^{٤٣} أبي العباس أحمد بن محمد بن المهدي، البحر المديد في تفسير القرآن المجيد الجزء الثاني، ص: ٣

ب) في سورة آل عمران ذكر قصة أحد مستوفاة، وفي هذه السورة ذكر ذيلها وقوله تعالى: * فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِتْنَةٍ وَاللَّهُ أَرَكْسَهُمْ بِمَا كَسَبُوا أَلَا تَرِيدُونَ أَنْ تَهْتَدُوا مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ^ط وَمَنْ يُضِلِّ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا ﴿٨٨﴾ (النساء: ٨٨) فإنه نزل فيما يتعلق بتلك الغزوة على ما ستسمعه إن شاء الله تعالى مرويا عن البخاري والمسلم وغيرهما.

ج) في آل عمران ذكر الغزوة التي بعد أحدكما أشرنا إليه في قوله تعالى: الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ^ع لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقُوا أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٢﴾ (آل عمران: ١٧٢)، وأشار إليها هنا بقوله سبحانه: وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ^ط إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ^ط وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٠٤﴾ (النساء: ١٠٤).

وبهذه الأمور يعرف أن تأخير النساء عن آل عمران أنسب من تقديمها عليها كما في مصحف ابن مسعود لأن المذكور هنا ذيل لما ذكر هناك وتابع فكان الأنسب فيه التأخير، ومن أمعن نظره وجد كثيرا مما ذكر في هذه السورة مفصلا لما ذكر فيما قبلها فحينئذ يظهر مزيد الارتباط وغاية الاحتباك.^{٤٤}

أبي الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي، روح المعاني المجلد الثاني (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٤)، ص: